البسطاء والمتدينين من اليهود «برسالة» المخلص الصهيوني، باعتبارها مجال تنفيذ الوعد الالهي. لهذا جهد المفكرون الصهيونيون في العمل على استخلاص تعاليم الدين اليهودي التي تخدم مخططاتهم. وقد صاغوا هذه التعاليم ضمن برامجهم السياسية مستخلصين منها أبدية اللاسامية والشتات القسري لليهود، والشوق الى صهيون، وفرض العزلة على اليهود في «الغيتوات» قسراً. مفسرين ذلك بسبب من الحسد الذي تكنه الطوائف الأخرى من الشعوب لليهود، لتفوقهم على غيرهم. وقد ألّف المنظرون الصهيونيون عشرات الكتب لايجاد التفسيرات والتزويرات المناسبة لتحريف الحقائق التاريخية بما يتلاءم وتبرير تأسيسهم حركتهم السياسية هذه، مؤكدين أن الصهيونية وجدت كفكرة منذ وجود اليهودية، رابطين الأجيال اليهودية بعضها بالبعض الآخر منذ آلاف السنين حتى يومنا هذا. وترى الصهيونية أن هذه الأجيال قد حافظت على «نقائها العرقي رغماً عن التاريخ». وقاومت اندماجها في الشعوب التي عاشت بين ظهرانيها بسبب الشوق التاريخي الى صهيون.

لقد صاغ المنظرون الصهيونيون كل هذه الأفكار الغيبية في تعارض تام مع روح عصر الثورة العلمية ــ التكنولوجية، ليصلوا بالنتيجة الى الدور العالمي لليهود، والمنوط بهم من قبل الرب، باعتبارهم منفذي ارادة الله في الأرض، وبالتالي تبرير «الضرورة» وراء تأسيس الحركة الصهيونية. في كتيبه «دولة اليهود»*، يقول تيودور هرتسل ان الفكرة التي يأتي بها قديمة قدم الزمان ذاته[٢٣]. ويقفز هرتسل عن حقائق التاريخ مصوراً اللاسامية بأنها داء أصاب شعوب العالم كافة، ولا مجال للخلاص منها الاّ بحل مشكلة اليهود حلاً سياسياً[٢٤]. فحيث يظهر اليهود تلاحقهم، اللاسامية، والتي هي رد فعل حاقد من قبل الشعوب الأخرى ضدّ «تفوق العنصر اليهودي». ويقول (N. Bentwich) «الصهيونية قديمة قدم سعي الشعب اليهودي في أيام نبوخذ نصر للهيكل»[٢٥]. ويطور حاييم وايزمان هذه النظرية الصهيونية في اللاسامية بقوله: «ان اللاسامية جرثومة يحملها كل انسان غير يهودي (Gentile) معه، حيث يكون ومهما حاول مراراً انكارها» [٢٦].

مسألة اليهود والحل الصهيوني

هل يمكن اعتبار الحل الصهيوني لمسألة اليهود هو الحل الصحيح؟ ان حلاّ صحيحاً لمسألة اليهود يحتم بالضرورة أولاً، تتبع المسار التاريخي لمشكلتهم منذ نشوئها وفي مختلف مراحل تطورها قبل التطرق الى امكانية الحل.

طرح المشكلة

لقد اقترنت اليهودية، عبر التاريخ، بوظيفة اجتماعية ــ اقتصادية، لازمت المجتمعات الطبقية المستغلة (بكسر الغين)، وكانت هذه الوظيفة في أغلب الأحيان هي التجارة أو الربا. ولن نتطرق هنا الى البحث في مسلسل الوقائع التاريخية التي تؤكد ذلك، فهذه كانت موضوع دراسات عدة لباحثين اجتماعيين ومؤرخين ماديين حللّوا وقائع تاريخ مشكلة اليهود في سياق الجوهر المادي لليهودية ذاتها. ويعدّ مؤلف ابراهام ليون حول هذه المسألة، والذي

(*) وقد ترجم للعربية خطأ «الدولة اليهودية»